

روح المعاني

للمفعول وجودا وعدمًا فكأنه قيل : لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قول الفرزدق : وعص زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت 1 أو مجلف أي لم يدع فلم يبق الا مسحت 2 أو مجلف وأبو البقاء يجعل الاستجابة مصدر المبني للمفعول وضافته الى باسط من باب إضافة المصدر إلى مفعوله كما في قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير والفاعل ضمير الماء على الوجه الثاني في الموصول وقد يراد من بسط الكفين إلى الماء بسطهما أي نشر أصابعهما ومدّها لشربه لا للدعاء والاشارة اليه كما أشرنا اليه فيما تقدم وعلى هذا قيل : شبه الداعون لغير الله تعالى بمن أراد أن يعرف الماء بيديه فبسطهما ناشرا أصابعه في انهما لا يحصلان على طائل وجعل بعضهم وجه الشبه قلة الجدوى ولعله أراد عدمها لكنه بالغ بذكر القلة وإرادة العدم دلالة على هضم الحق وإيثار الصدق ولاشمام طرف من التهكم والتشبيه على هذا من تشبيه المفرد المقيد كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شيء : هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكونه على الماء كذلك فيما نحن فيه وليس من المركب العقلي في شيء على ما توهم نعم وجه الشبه عقلي اعتباري والاستثناء مفرغ عن اعم عام الاحوال أي لا يستجيب الآلهة لهؤلاء الكفرة الداعين الا مشبهين أعني الداعين بمن بسط كفيه ولم يقبضهما وأخرجهما كذلك فلم يحصل على شيء لأن الماء يحصل بالقبض لا بالبسط وروى عن علي كرم الله وجهه أن ذلك تشبيه بعطشان على شفير بئر بلا رشاء ولا يبلغ قعر البئر ولا الماء يرتفع اليه وهو راجع إلى الوجه الأول وليس مغايرا له كما قيل وعن أبي عبيدة أن ذلك تشبيه بالقابض على الماء في أنه لا يحصل على شيء ثم قال : والعرب تضرب المثل في الساعي فيما لا يدركه بذلك وأنشد قول الشاعر : فأصبحت فيما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد وقوله : وإني وإياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسعه أنامله وهو راجع إلى الوجه الثاني خلا أنه لا يظهر من باسط معنى قابض فان بسط الكف ظاهر في نشر الاصابع ممدودة كما في قوله : تعود بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضا لم تطعه أنامله وكيفما كان فالمراد بباسط شخص باسط أي شخص كان وما يقتضيه ظاهر ما روى عن بكير بن معروف من أنه قابيل حيث أنه لما قتل أخاه جعل الله تعالى عذابه أن أخذ بناصيته في البحر ليس بينه وبين الماء الا اصبع فهو يريد مما لا ينبغي أن يعول عليه وقرئ كباسط كفيه بالتنوين أي كشخص يبسط كفيه وما دعاء الكافرين الا في ضلال .

- أي في ضياع وخسار وباطل والمراد بهذا الدعاء إن كان دعاء آلهتهم فظاهر أنه كذلك لكنه فهم من السابق وحينئذ يكون مكرر للتأكيد وإن كان دعاءهم الله تعالى فقد استشكلوا ذلك بأن دعاء الكافر قد يستجاب وهو المصريح به في الفتاوى واستجابة دعاء إبليس وهو رأس الكفار